المصطلح القرآني والتأسيس لمقارنة الأديان

الدكتور محمد حجولي
باحث في الدراسات الإسلامية
المغرب

خلاصة المقالة:

يعتبر القرآن الكريم وحيا إلهيا، نزل بعد التوراة والإنجيل مصدقا ومهيمنا ومؤسسا معرفيا ومنهجيا لسيرورة عقدية وتعبدية إلى قيام الساعة، موجها ومقوما للتحريفات التي لحقت يعتبر الوحي في التوراة والإنجيل، من ثم فهو يعترف لها وجوديا بالمصدرية الإلهية ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1] ويسترجع الأصول التي حُرفت مقررا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2].

من ثم قدم القرآن الكريم قواعد جليلة يسترجع من خلالها قيمة الوحي الذي نزل على الأنبياء السابقين، ويؤسس لناظم مرجعي لمقارنة الأديانّ، من أهم هذه القواعد:

- أولا: المرجعية الإلهية للدين،
- ثانيا: التوحيد عقيدة إسلامية إنسانية،
- ثالثا: خطاب الله تعالى لكل الناس،
- رابعا: جدلية الحوار والتعايش والقتل،
- خامسا: العدل،
- سادسا: التدافع والتداول والاستبدال،
- سابعا: الاعتراف بسماوية الكتب السابقة،
- ثامنا: وراثة الأرض.

كلمات مفتاحية: المصطلح القرآني، التأسيس، مقارنة الأديان

المقدمة

يعتبر القرآن الكريم، في جملته، تركيبا لغويا من جنس لسان العرب، المعجز في تركيبه، وتنظيمه، وتشكيله، وهو أرقى نص لغوي عند المسلمين، لذلك فإن قواعد اللغة العربية تخضع للقرآن الكريم[3]، لأنها نشأت في بيئة القرآن، رغم أن العرب – قبل نزول القرآن الكريم – كانوا يتقنون تلك القواعد بالسليقة، وبعد نزوله لم يجد المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخطاء في لغة القرآن. هب جدلا أن في زمن النبوة وجدت أخطاء لغوية على مستوى النص القرآني، أكان المخالفون سيسكتون عن ذلك؟ ولذلك لم يسجل التاريخ أي اعتراض على لغة القرآن الكريم وعلى اصطلاحاته.

ثم إن المؤلفين الأوائل لقواعد اللغة العربية – وأشهرهم سيبويه[4] صاحب "الكتاب" اعتمدوا على جمع الشواهد والنظائر من القرآن الكريم بصفة خاصة للكشف عن تلك القواعد، كما فعل سيبويه رحمه الله تعالى. وقد كانت الشواهد تؤخذ أيضا من كلام العرب الفصحاء واشعارهم وحِكمهم.

لا تشكل المصطلحات الواردة في القرآن الكريم كل كلام الله ﴿**قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَداً**﴾[5].

مدخل مفاهيمي

أ- المصطلح والاصطلاح

في البداية لابد من تقديم تعريف لكلمة "المصطلح"، فهو مصدر ميمي جامد اشتق من الفعل "اصطلح" بعد إضافة ميم في بدايته[6].

عند التتبع والاستقراء لكتب أهل الشأن، كالجاحظ[7] (ت 255هـ) في "**البيان والتبيين**" وفي كتاب "**الحيوان**"، والخوارزمي[8] (ت380 هـ) في "**مفاتيح العلوم**" وأبو الحسين أحمد بن فارس[9] (ت 395هـ) في "**الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**"، لا تكاد تجد عندهم تفريق بين كلمتي مصطلح واصطلاح، فقد استخدموا الكلمتين اعتبارا للترادف[10]، واعتبارهما شيء واحد.

ذهب المتأخرون إلى القول بوجود فوارق دقيقة غابت عن الجاحظ والخوارزمي وابن فارس، منهم عبد الصبور شاهين، الذي فرق بين كلمة "مصطلح" وكلمة "اصطلاح" فقال "نحن نتذوق في استعمالنا لكلمة **اصطلاح** معناها المصدري، الذي يعني الاتفاق والمواضعة والتعارف، ونقصد في استعمالنا لكلمة مصطلح معناها الاسمي الذي يترجم كلمة "Term" الإنجليزية، ولذلك لا نجد بأسا في أن نقول: إن اصطلاحنا على مصطلح ما ضرورة في البحث وهو أولى وأفضل من أن نقول: إن اصطلاحنا على اصطلاح بهذا التكرار الرقيق. ويبدو أن هذه التفرقة في الاستعمال لم تكن واضحة قديما"[11].

ب- تعريف كلمة "مصطلح"

جاء في شمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري[12] (ت 573 هـ) صَلَحَ، الصُّلوح: نقيض الفساد، وصَلُحَ: الصلاح: نقيض الفساد، واصطلح القوم: أي تصالحوا، والاستصلاح: نقيض الاستفساد[13]. وكذلك جاء في المعجم الوسيط، صَلَحَ، صلاحا، وصلوحا: زال عنه الفساد اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، واصطلح القوم على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا[14].

جاء في لسان العرب لابن منظور، وقد اصطلحوا وصالحوا واصَّلحوا وتصالحوا واصَّالحوا، مشددة الصاد، قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد[15]، فمصطلح أو اصطلاح من المادة صلح ضد فسد، فهو يدل على خلاف الفساد ويعني الاتفاق، ففي اللغة هما كلمتان تفيدان الاتفاق، والتعارف، والتصالح.

يقول الجرجاني[16] "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ إزاء المعنى، وقيل إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل لفظ معين بين قوم معينين"[17]، فالجرجاني بتعريفه هذا يكون قد أفادنا بخمسة تعاريف للمصطلح:

- الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول
- وهو أيضا إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.
- وقيل – الاصطلاح – هو اتفاق طائفة على وضع اللفظ إزاء المعنى.
- وقيل إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.
- وقيل لفظ معين بين قوم معينين.

نفس الشيء عند الزبيدي[18] في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس حيث قال "إن المصطلح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[19].

أورد الدكتور الشاهد البوشيخي تعريفا للمصطلح بقوله" المصطلح عنوان المفهوم والمفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي، بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية"[20].

ت– تعريف كلمة "القرآن"

ذكر ابن منظور في لسان العرب أن معنى القرآن، يحيل إلى معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور، فيضمها ...وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا ومنه سمي القرآن...والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته...وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران[21].

تفيد كلمة القرآن في اللغة عدة معاني، فهي تفيد الجمع، والضم، والقراءة.

وتتبعا واستقراء للفظة "قرآن" في الكتاب العزيز، فإنها تفيد:

- ابتداء القراءة، وشديدة الصلة بمادة "قرأ"، وذلك في قوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[22]، وقوله تعالى ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[23] وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[24].
- وتفيد انتهاء اسم علم على القرآن الكريم.

إذا اعتبرنا ما سبق تأصيلا لغويا للتعريف بلفظة قرآن، فقد عُرِّف القرآن بعدة تعريفات اصطلاحية، منها:

عرفه ابن حزم[25] (ت 456 هـ) كما ذكر ذلك الشريف محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسني (ت1419 هـ)، "القرآن هو الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً فما بين ذلك، من أول أُم القرآن إلى آخر المعوذتين، كلام الله عز وجل، ووحيه، أنزله على قلب نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، من كفر بحرف منه فهو كافر"[26].

وقال الغزالي (ت 505 هـ) في المستصفى "وحَدُّ الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا"[27].

وعرفه صاحب المراقي، سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي[28] ت1230هـ، ب:

لفظ منزل على محمد لأجل الإعجاز وللتعبد

يعني أن القرآن عند علماء العربية، والفقه، والأصول، هو اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الإعجاز بسورة منه ولأجل التعبد بتلاوته[29].

أولا: المرجعية الإلهية للدين

لقد بعث الله تعالى عدة أنبياء وعدة رسل، وهذا المعطى لا يعني تعدد الأديان بتعدد الأنبياء والرسل، وإنما هو دين واحد، عبر عنه القرآن الكريم ب "**الإسلام**" في كثير من الآيات على لسان الأنبياء والرسل، انطلاق من نوح عليه السلام وصولا إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الله تعالى في سورة يونس على لسان **نوح عليه السلام**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[30].

وفي شأن **إبراهيم عليه السلام** يقول الله تعالى في سورة البقرة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[31].

ويقول الله تعالى في سورة البقرة، أيضا، بيانا لوصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لبنيهما﴿وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[32].

وهو دين **موسى وعيسى عليهما السلام**، قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[33]، وقال تعالى في سورة آل عمران ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[34].

وفي سورة النمل قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[35].

ثم قال الله تعالى لخاتم الأنبياء والرسل ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[36]، ويقول أيضا في سورة آل عمران﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[37].

حتى على لسان الجن يقول الله تعالى ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾[38].

يسترجع القرآن الكريم قيمة النص المقدس من خلال تأكيده لمرجعيته الإلهية، ومن ثم يعلن تصحيحه وتصويبه للتحريفات التي طالت النصوص المقدسة السابقة، التوراة والإنجيل، من بين هذه التحريفات، مصارعة **المُسْتَخْلَف** للملائكة، حيث جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني والثلاثون" فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الشمس، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخد يعقوب في مصارعته معه"[39] قال القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لهذه الآيات التوراتية" إذا اجتاز يعقوب وأسرته نهر يبوق انفرد للخلوة، وكأنه كان يستعد للقاء عيسو خلال لقائه مع الله، قد ظهر له إنسان، ويرى غالبية الدارسين أنه ملاك على شكل إنسان، وليس كلمة الله، لكنه يمثل لحضرة الإلهية...فرأى الملاك أن يعقوب في جهاده لم يستسلم بل صار يصارع طول الليل ...الامر الذي بدا فيه الملاك كمن هو مغلوب والإنسان كغالب، فضربه على حق فخذه ضربة خفيفة إلى أن انتهى الجهاد بسؤال مشترك، سأل الملاك يعقوب عن اسمه لا لجهله بالاسم، وإنما لكي يغيره إلى اسم جديد يليق به كمجاهد"[40]

شكلت، أيضا، غطاء شرعيا لكل الممارسات العنصرية واللا إنسانية، وأثرت في كثير من المفكرين الغربيين لإيجاد نزعات وجودية، تُلغي فاعلية الإله في الواقع وتُغيّبه[41] ومنها من أعلنت موت الإله.

ثانيا: التوحيد... العقيدة الإسلامية/الإنسانية

يعتبر القرآن آخر الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى، على آخر الرسل والانبياء رسول الله محمد صلى الله تعالى، فتصدى لأول قضية تربط بين **المُسْتَخْلِف والمُسْتَخْلَف**، وهي **قضية التوحيد**، أي نفي جميع الآلهة وإثبات الإله الواحد، وتفرده تعالى بالصفات والأسماء ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[42]، فهو رد واسترجاع نقدي لما حرفه اليهود والنصارى. ولذلك استرجع بمنهج نقدي ما توصل إليه النصارى من تحريف في توحيدهم وقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[43] فصَوَّب ووجه الله تعالى بقوله ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[44]، وقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[45]، ثم بين الله تعالى أن له ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[46]، وأخبر الله تعالى أن المسيح دعا بني إسرائيل ليُقَوِّم ويُصَوِّب توحيدهم قائلا﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[47].

واسترجع القرآن الكريم ما نادى به موسى عليه السلام، الذي بين لبني إسرائيل ما تلقاه من عند ربه من توحيد، قال تعالى﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[48] وكانت هذه دعوة جميع الأنبياء ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[49].

هذا لا يزال مبسوطا في سفر الخروج، الإصحاح الثالث، الآية6" قال الرب أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"، ثم قال لموسى عليه السلام في نفس السفر الآية16 " اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم: الرب إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب"، وقال الرب بعد ذلك في الإصحاح 20الآية 4-5، آمرا موسى" لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن"، فالمصطلحات الموجودة في الآيات السابقة من سفر الخروج، تفيد التوحيد ولا تفيد الكثرة في الآلهة، وأن الله ليس كمثله شيء[50] مثل المصطلحات الموجود في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم	في سفر الخروج
-"إنني انا الله"	-"قال الرب أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق
" إلهك وإله آبائك"	وإله يعقوب"
	" الرب إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب"
-"إلها واحدا"	-"لا تصنع لك تمثالا منحوتا"
-"نحن له مسلمون"	-"لا تسجد لهن ولا تعبدهن"
-"ليس كمثله شيء وهو السميع	-"لكي تعرف أنه ليس مثلي في كل الأرض"
البصير"	"قال اشعيا موجها الخطاب لبني إسرائيل" بمن تشبهونني فأساويه
...	...

لكن تبقى هذه الآيات التوراتية، الدالة على أوامر الله تعالى لبني إسرائيل بأن يوحدوه ولا يشركوا به، لا تتجاوز سطور التوراة، ومصطلحات سيئ فهمها، وأفرغت من محتواها ومعانيها الإنسانية، ولم يبقى منها إلا الأوهام الشائعة بأن الديانة اليهودية هي ديانة توحيد كما يعرف الوقت الراهن كثير من العلماء التوراتيين، الذين أثبتوا أن في كثير من أسفار العهد القديم، إن لم نقل في كل أسفاره، حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم صراحة، ويبقى يهوه أقوى الأرباب، غيور جدا من منافسيه ويحظر على شعبه عبادتهم[51].

لقد استوعبت اليهودية، في مرحلة متقدمة من التاريخ، كثيرا من العناصر الدينية والحضارية من سائر الحضارات التي وجدت فيها، مثل الحضارة المصرية والكنعانية والآشورية والبابلية والحورية، لكن تأثر توحيدهم بفلكلور وخرافات البلاد التي كانوا ينتمون إليها فتفاعلت كل جماعة يهودية مع التشكيل الحضاري الذي وجدت فيه، فغابت النزعة التوحيدية وحلت محلها الحلولية، ولم تتبلور مفاهيم التوحيد في الديانة اليهودية كمفهوم اليوم الآخر الذي لم يصبح من عقائد اليهودية إلا في كتاب دانيال[52]، ولقد بسط القرآن الكريم هذا التأثر العقدي بالأقوام التي عاش معهم بنو إسرائيل﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[53]، ثم بين موسى عليه السلام لبني إسرائيل انحرافهم، قال تعالى﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[54].

ولقد عرف الشعب اليهودي سقوطه في نوعين من الانحراف الوثني:

- الامتثال بالوثنيين المحيطين بهم،
- الخلط بين العبادة الوثنية وعبادة الله الحي، كما يظهر من عبادتهم للعجل بقصد التعبد لله الحي[55].

وبالمقارنة بين المصطلح القرآني والمصطلح التوراتي، نجد توافقا كبيرا بين المصطلحين فيما يخص عرض انحرافات اليهود عن المنهج العقدي الإنساني، الذي دعا إليه كل الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، من ذلك عبادة العجل، جاء في سفر الخروج" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لان موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصَوَّره بالإزميل، وصنعه عِجْلا مسبوكا. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدَتْكَ من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه، ونادى هارون وقال: غدا عي الرب، فبكَّروا في الغد وأصعدوا مُحْرَقَات وقدموا ذبائح سامة، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب، فقال الرب لموسى: اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصْعَدْته من أرض مصر، زاغوا سريعا عن الطريق الذي أويتهم به، صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصْعدتْك من أرض مصر"[56].

فكانت القصة أكثر بسطا من التي جاءت في القرآن الكريم، لكن تضارعتا في مسألة اتخاذ بني إسرائيل عجلا جسدا مسبوكا من الحلي من بعد غياب موسى عليه السلام قصد تلقي الأوامر الإلهية، قال تعالى في سورة الأعراف﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[57]، ثم جاء التصويب والتقويم الإلهي، لما اتخذه بني إسرائيل من شرعية

لعبادة العجل، وذلك بما قام به هارون عليه السلام﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾[58].

ثالثا: خطاب الله تعالى إلى كل الناس

ويتجلى ذلك في الخطاب الإلهي الموجه إلى الناس، من خلال القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، فالخطاب في القرآن الكريم دائما يأتي ب﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ﴾[59]، بل إنه صوب التحريف الذي أصاب الكتب السابقة بقوله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[60]، ويقول الله تعالى في سورة إبراهيم موجها الخطاب إلى كل الناس﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[61] ويقول تعالى في سورة النحل﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[62]، وفي نفس السورة يدعو الله تعالى الناس إلى اتخاذ إله واحد هو الله تعالى لا اثنين﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[63].

ويأمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول إنما إلهكم إله واحد وليس مختصا بشعب دون شعب ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[64].

بَيَّن الله تعالى في القرآن الكريم أنه عز وجل جعل لكل أمة منسكا، الهدف منه هو ليذكروا الله على ما رزقهم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[65]، والمقصد هو إسلام الناس أجمعين لله تعالى، فهو إلههم إله واحد لا شريك له وليس كمثله شيء، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾.

بالنظر إلى النص التوراتي، وخاصة في الوصايا العشر، الخطاب يصدر من رب واحد لشخص واحد، ولشعب واحد" أنا الرب إلهك الذي أخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"[66]، الخطاب هنا جاء على صيغة المفرد مما يبنى عليه خصوصية الرب ببني إسرائيل، وأن فاعلية الله في الواقع وفي التاريخ هي خاصة ببني إسرائيل، مما" يرسخ في الوجدان اليهودي الإحساس بالعلاقة الخاصة بين إسرائيل والرب...ويتدخل في التاريخ لصالح اليهود، ضد الشعوب التي اضطهدتهم، وهو ما يعمق لدى اليهود خاصية الإحساس بالعداء والكراهية تجاه الأغيار"[67].

رابعا: جدلية التعايش والحوار والقتل

لم يكن الخطاب الإلهي في القرآن الكريم موجها إلى متبعي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقط، وإنما وُجِّه أيضا إلى أهل الكتاب، من ذلك قول الله تعالى في سورة آل عمران ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[68] وبالنظر إلى التركيب المصطلحي الذي تضمنته الآية نجد(**يا أهل الكتاب – تعالوا – كلمة سواء – بيننا وبينكم – ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا – لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)، فهي تشكل خطة طريق تنظم العلاقة بين أتباع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وأهل الكتاب قصد تحقيق التعايش الإنساني في الأرض، وبالتالي استخلافه وتمكينه فيها.

الناظر إلى الوصايا العشر التي تضمنها سفر الخروج، يجدها تضمنت مصطلحات تستغرق كل الناس، بغض النظر عن انتمائهم العقدي[69]، من ذلك الوصية السادسة التي تنص على تحريم قتل الإنسان بما يتعارض مع حكم الشريعة. لكن من يطالع أسفار التوراة يجد في أحيان كثيرة، أن حكم الشريعة نفسه، ليس فقط أنه يسمح بقتل الإنسان، بل يأمر بقتل الإنسان، وقد تضمنت التوراة نفسها عقوبة الموت كجزاء لمخالفات كثيرة، ولذلك فإن هذه الوصية بصورتها الغامضة لا تحدد لليهود كيف يتصرفون بموجبها، لأنهم لا يعرفون ما هي عمليات القتل التي تسمح بها الشريعة أو التي لا تسمح بها، لكن ظاهر الوصية هو تعبير عن تقديس حياة الإنسان[70].

ينقسم القتل في اليهودية إلى:

- **القتل العمد**: وهو ثلاثة انواع

الأول: قتل واجب، ويقع في حالة الدفاع عن النفس،

الثاني: قتل مباح، وهو ما يقع أثناء الحروب،

الثالث: قتل محرم، وهو مقصود الوصية، وهو القتل بالتربص أو مع سب الإصرار والترصد، وجزاء القاتل في هذه الحالة القتل، كما جاء في الخروج، الإصحاح21، الآية12" من جذب إنسان فمات يقتل قتلا"، وفي الآية 14 من نفس الإصحاح من سفر الخروج" وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت".

المتأمل في المصطلح المستعمل في الآية14، يجد مصطلحا في غاية الأهمية، وهو مصطلح "**إنسان**" ومصطلح "**صاحبه**"، وبالتالي يعتبر هذا الإصحاح والتي تلته أشبه بتطبيق عملي للوصايا العشر لتناسب الظروف التي كان يعيشها اليهود في ذلك الوقت وهي تقدم، حسب تعبير القمص تادرس يعقوب ملطي، لهم فهما إيمانيا حيا عن علاقتهم بالله وعلاقتهم بإخوانهم، بل وبالحيوان والأرض، ثم يقول القمص تادرس" لهذا فنحن لا ندرس هذه الإصحاحات بطريقة تفصيلية كقوانين وشرائع، إنما نريد أن نتعرف على النظرة الإلهية للحياة البشرية. كمثال نجد بعض القواعد التي تحكم العلاقة المتبادلة بين العبيد وسادتهم أما الآن إذ لا يوجد عبيد لا نتجاهل هذه القواعد، لأنها تحمل روح العلاقات المتبادلة بين البشر وبعضهم البعض"[71].

- **القتل الخطأ**: القاتل الذي يصيب شخصا ويقتله عن طريق الخطأ، ليس عليه حكم الموت، لكن يمكنه الالتجاء إلى مكان أمين لحمايته من ولي الدم.
- **القتل شبه العمد**: وجزاؤه القتل ويدخل في ذلك ما إذا تعارك قوم فصدوا امرأة حاملا فسقط جنينها ميتا، أو ماتت وسقط جنينها حيا أو ماتا معا.[72]

الباحث عن اشتقاقات كلمة **قتل** في القرآن الكريم يجدها تتردد بين: **قَتَل، يَقْتُل، قُتل اقتلوا، القتلى، قاتلوا، القَتْل، القتال، لا تقتلوا.** لا يكاد يجد آية واحدة تدعو إلى المبادرة إلى القتل ظلما وعدوانا، وإنما يكون وسيلة للدفاع عن النفس، أو استرجاعا لحقوق اغتصبت وجاء الأمر بقتل الآخر في القرآن في عدة مواضع.

في سورة البقرة، في قوله تعالى ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[73]، المتأمل في هذه الآية مجردة عن السابق واللاحق من الآيات يعتقد أنها تفيد المبادرة إلى القتل وإلى القتال، لكن عند ربطها بالسابق وهو قوله تعالى﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾[74] ثم ينهى الله تعالى عن الاعتداء بقوله﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[75]، فلا يكون القتال والمقاتلة إلا عند قدوم الآخر للقتال، آنئذ يحق للمُقَاتَل تطبيق قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله... واقتلوهم حيث ثقفتموهم، هذه القاعدة القرآنية لازالت معتمدة إلى يومنا هذا، وهي قاعدة تتوافق والمنطق الوجودي للإنسان في الأرض، وتتوافق وميثاق الأمم المتحدة، المنظم للعلاقات بين الدول خاصة المواد 40-41-42[76] من ميثاق الأمم المتحدة، والتي تنص على أن المنظمة يمكنها اتخاذ تدابير أولية لا تتطلب استخدام القوات المسلحة، وتتمثل في وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية، وغيرها من وسائل المواصلات وقفا جزئيا أو كليا وقطع العلاقات الدبلوماسية.

كذلك قوله تعالى في سورة النساء﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾[77]، من حيث التركيب المصطلحي للآية نجد أن مصطلح **اقتلوهم** مرتبط بقوله تعالى﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾[78] فإن لم يفعلوا ذلك، آنئذ ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[79].

وقس على ذلك آيات القتل في القرآن كله.

هكذا يكون الأمر بالقتل في القرآن الكريم مرتبط برد عدوان الآخر، وبتطبيق دلالة مفهوم المخالفة يمكن أن نقول من اعتزل المسلمين، وألقى إليهم السلم/السلام، وكف يده عنهم، فلا يأخذوهم ولا يقتلوهم، وهذا هو المنهج الذي تجسد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كما تصوره بعض الجرائد والمجلات الغربية[80].

إن الأصل في علاقة المسلم بالآخر المخالف **السلم** وليس **الحرب**، والقرآن الكريم استرجع مصطلح الإسلام الذي غُيِّب في مراحل ما قبل مجيء الإسلام، والاعتراف بالآخر المخالف، واسترجع كذلك منظومة الأخلاق[81]، ومن معاني الإسلام السلم والسلام، ومن أسماء الله تعالى السلام، ولما أمر الله تعالى مجادلة أهل الكتاب أمر مجادلتهم بالتي هي أحسن ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[82].

جاء في الكتاب المقدس" وسبى بنو إسرائيل نساء مِدْيان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار...وقال موسى، لوكلاء الجيش، هل أبقيتم كل أنثى حية؟ إن هؤلاء كُنَّ لبني إسرائيل سبب خيانة للرب...فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها"[83]

من عدل الله تعالى، أثبت في القرآن مبادئ وقواعد تضبط المختلفين في العقائد والدين وتدخلهم مضمار التفاهم والتعايش الديني والعقدي﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[84]، ثم يحدد معيار الاستمساك بالعروة الوثقى[85]﴿فَمَنۡ يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾[86]، وتجسد هذا الاعتراف بالآخر في سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في وثيقة المدينة، والعالم، اليوم، يحتاج إلى التطبيق الفعلي لهذا القانون الإلهي الذي يتعالى على كل القوانين الأخر، ويصوبها ويُقَوِّمُها.

يشكل المصطلح القرآني في هذه الآيات تركيبا منهجيا يحدد للمسلمين خاصة ولجميع الناس، كيف يكون موقفهم من المخالف دينا، منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا الراهن الموسوم بالتطرف وأعمال العنف والإرهاب ضد الآخر، وهي أعمال تستند إلى تراث فقهي، تحكمت في صناعته وبروزه عوامل تاريخية، مما يوجب تدشين مراجعات ذات منطلقات منهجية ومعرفية شاملة لتراثنا[87]، ومن ثم التأسيس لقواعد منهج قرآني بديل قادر على استيعاب الآخر، والاعتراف به وليس الاستكبار والاستعلاء.

إنها مقاربة قرآنية لعلاقتنا بالآخر، وتؤسس لقواعد الاستخلاف الإنساني وتمكينه في الأرض، بدءا برسول الله صلى الله عليه وسلم" وخالق الناس بخلق حسن"، واستعمل مصطلح الناس الذي يستغرق الجميع. فالاعتراف بالآخر، حسب المنهج القرآني، ينبني على الانتماء الكوني للإنسان، الذي جعله الله تعالى، وجعل أواصر الاتصال والتفاعل بينه جل وعز وبين الإنسان، لكن الإنسان تضخم لديه الشعور بذاته في ظل العلاقة الثنائية بينه وبين الشروط الموضعية للحركة، ومن ثم فقدان قيم الاجتماع في السلوك الإنساني، ولم تعد ثمة قيم أخلاقية تولد فيه شعورا بالألفة مع ذاته الاجتماعية[88].

بتتبع الآيات القرآنية المؤسسة لهذا المنهج، ولمنظومة الأخلاق القرآنية التي تتحدث عن التفضيل والتكريم والمساواة بين الناس/الأنام نجد:

- التفضيل: في قول الله تعالى ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[89]، وهي مفاضلة بين خلق الإنسان وباقي الخلق،
- التكريم: في قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[90]،
- المساواة: قال تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[91].

خامسا: العدل

جاء في لسان العرب، العَدْلُ: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا...وفي أسماء الله سبحانه: العدل، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم...وفلان من أهل المعدلة أي من أهل العدل، والعدل هو الحكم بالحق[92].

والعدل اصطلاحا يفيد القيام بالقسط ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[93] ونقيضه البغي ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾[94]. ﴿يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[95] والبغي هو مجاوزة الحدود التي رسمها الله تعالى في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يتخذ العدل في الإسلام بعدين[96]:

- بُعد يتعلق بالعدل مع النفس وعدم ظلمها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[97]، ويقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[98].

- وبُعد يتعلق بالعدل مع الآخر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[99]

العدل من مطالب الخلق لتحقيق الاستخلاف والتمكين في الأرض، وهو عماد الاجتماع الإنساني ومظهر رقيه، تنتهجه الفطرة السليمة، ولن تجد نظرية سياسية أو اجتماعية لمفكر موضوعي إلا وخص العدل بإطراء حسن وجعل تحققه شرطا لازما للمساواة والاستقرار والتقدم، ولا غرابة أن يدافع عنه العقلاء في كل زمان ومن كل قوم[100].

من مشتقات العدل، المعادلة والعدالة، والعدالة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايفة والعَدْلُ والعِدْلُ يتقاربان. لكن العدل يُستعمل فيما يُدرك بالبصيرة كالأحكام، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾[101]، والعِدْل والعديل فيما يُدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيلات، فالعَدْلُ هو التقسيط على سواء فبالعدل قامت السماوات والأرض[102].

وأمر الله تعالى الناس في سورة النحل بالعدل والإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[103]. فالعدل من أساسات الاجتماع الإنساني التي أمر بها القرآن الكريم، من دون التفريق بين أفراده على أساس الاختلاف الديني، أو الطائفي.

سادسا: التداول والتدافع والاستبدال

1- التداول

يقدم القرآن الكريم قاعدة أساسية في التداول، كسنة كونية يخضع لها جميع الناس ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[104]، فكل الناس داخلون في مضمار التداول، بغض النظر عن مرجعيته الدينية، والعقدية، والطائفية، لكن المعيار الحقيقي للاصطفاء والاختيار هو قوله تعالى ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[105]، والمعيار الثاني هو انتفاء الظلم في مضمار التداول ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[106].

يورد القرآن الكريم سنن تتعلق بسنة التداول، والتي غُيّبت وتم غض الطرف عنها منها سنة **الاعتبار**، فكان إهمال النظر في سير الاولين وأحوالهم، وما كانوا عليه وما صاروا إليه والسنن التي كذبوا بها وتلك التي تدخلت لعقابهم، فكان مصيرها التعطيل، خاصة لدورها التقويمي على مستوى الوجود الحضاري للأمم والشعوب، لذلك يتدخل القرآن مذكرا ومنبها مرات كثيرة[107]، مثل قوله تعالى في سورة الروم﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم

مُّشْرِكِينَ ﴿٤١﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[108].

2- التدافع

أيضا هنا القرآن الكريم يورد مصطلح التدافع، ويربطه بالناس أجمعين ﴿وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[109]، ويقدم القرآن الكريم الأثر الأساسي للتدافع، وهو ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾[110].

وأشير هنا إلى أن التدافع لا يعني إثارة الحروب والقتل والذبح وغير ذلك، وإنما التدافع بين الأمم على المستوى الاقتصادي، والثقافي، والأخلاقي، والتكنولوجي، وغير ذلك.

3- الاستبدال

من السنن التي يخضع لها كل الناس، سنة الاستبدال، أي استبدال قوم بقوم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوَاْ أَمْثَالَكُمْ﴾[111]، أو استبدال قرن بقرن ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ﴾[112]، وترتبط هذه السنة بسنة قرآنية أخرى وهي سنة التغيير الواعية التي أناطها الله تعالى بالإنسان ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىَ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[113] فالإنسان هو المحرك الأساسي للتغيير، حتى يحقق التمكين في الأرض.

من مرتكزات الاستبدال عدم التولي" وإن تتولوا" عن أوامر الله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[114].

سابعا: الاعتراف بسماوية الكتب السابقة

يتوجه الخطاب القرآني إلى كل الناس، مهما اختلفت معتقداتهم وتصوراتهم الوجودية حيث ذكر الله تعالى في أول سورة البقرة أصناف هؤلاء[115]، واعترف بوجودهم وبدينهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[116]، من ثم اعترافه بالكتب السماوية الأخرى، واعترف بما فيها من تشريع ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرِيَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾[117]، لكن يبين الله تعالى أنهم تولوا عما جاء فيها من حكم الله تعالى ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَالِكَ وَمَآ أُوْلَئِكَ بِالْمُومِنِينَ﴾[118].

من عدل الله تعالى أشـــاد بأحكام التوراة والإنجيل في القرآن الكريم﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرِيٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلإِنجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرِيٰةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[119]. هـذا قبـل تحريف الكَلِمَ عن مواضـــعـه ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[120].

لقد بيَّن القرآن الكريم علاقته بالكتب السابقة على ثلاثة مستويات:

الأول: مستوى التصديق، حيث قال الله تعالى في عدة مواضع منها قوله تعالى في سورة البقرة" مصدقا لما معكم" وقال أيضا" مصدقا لما بين يديه"، فهو يقصد ابتداء التوراة والإنجيل.

الثاني: مستوى التفصيل، حيث قال الله تعالى في سورة يوسف﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[121]، فالقرآن الكريم اسـترجع الدين الذي دعا له الأنبياء السـابقين ليؤكد﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلَٰمُ "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلَٰمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[122].

الثالث: مسـتوى الهيمنة، يقول تعالى في سـورة المائدة﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[123]، فالقرآن الكريم هو الحاكم على تلك الكتب وذلك بتصحيح وتصويب ما شابها من تحريف، انطلاقا من قصة استخلاف الإنسان في الأرض وتمكينه فيها، إلى حديثه عن البعث والنشور وحياة ما بعد الموت.

ثامنا: وراثة الأرض

الواو والراء والثاء: كلمة واحدة، هي الوِرْث. والميراث أصله الواو. وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب[124]، فالوراثة في معناها اللغوي هي صيرورة الشيء إلى أخرين بعد أن كان لقوم سابقين.

وفي معناها الاصـطلاحي لا تختلف عن المعنى اللغوي، فإنها تعني انتقال ملكية أموال أو أعيان بسبب موت إنسان إلى من ينتمي إليه[125] من غير عمل ولا تعب.

منطلق منهج الوراثة في القرآن الكريم هو قوله تعالى في سورة الأنبياء﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[126]، الذين يصلحون ولا يفسدون والصلاح والإصلاح هما المقصد من استخلاف الإنسان في الأرض وتمكينه فيها، ويتجلى ذلك من خلال قوله تعالى﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[127].

جاءت لفظة الوراثة في القرآن الكريم بعدة معاني يمكن جمعها في معنى الاستخلاف والتمكين في الأرض.

وجاءت في العهد القديم بمعنى العودة إلى أرض الميعاد وامتلاكها "وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليُعطيك هذه الأرض لترثها"[128]، وجاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين" وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلِك أُعطي هذه الأرض"، أما العهد الجديد فتضمن مصطلح الوراثة معنى ورثاء الودعاء للأرض، حيث جاء في إنجيل متى، الإصحاح الخامس" طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض".

هنا تُطرح مسألة مدى حضور الإله في وراثة الأرض حسب المنطق القرآني، أي هل وراثة الأرض لا تحتاج إلى الفعل البشري؟

الصالحون والودعاء، كما وصفهم الله تعالى في القرآن الكريم وفي العهد الجديد يحتاجون إلى العمل، أو قوة العمل، ولذلك استعمل القرآن مصطلح تعملون في قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[129]، من ثم لا وراثة إلا بالعمل والفعل البشري المرافق للصلاح، والقدرة الإلهية تحضر كقوة دافعة لفعل الإنسان[130].

لقد منح المُسْتَخلِف صلاحيات العمل للمُسْتَخْلَف في الواقع، قصد تغييره سواء إلى الصلاح أو إلى الفساد، وهذا الاختيار بين الصلاح في الواقع والفساد فيه، هو منهج قرآني منذ جعل الله تعالى خليفة في الأرض، وهذا جلي في قوله تعالى﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، فالله تعالى استأثر بتمييز الوارث الصالح والوارث الفاسد، لكن في الأرض لا استخلاف مع الفساد وإنما بالعمل الصالح، والذي يحقق عهد﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[131]، وعهد﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[132]، عهد الاعتراف وعهد الاستخلاف والمسؤولية، وهاتان الكرامتان من الله تعالى تحدث عنهما القرآن باعتبارهما الأمانة التي تميز بها الإنسان على سائر الكائنات[133].

ويظهر ذلك جليا من خلال كلام الله تعالى مع الملائكة لما قالت﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾، فقال الله تعالى﴿إنيَ أعلم ما لا تعلمون﴾، فالسياق يقتضي أن المُسْتَخلَف أيضا سيُسبح بحمدي ويقدس لي، والمفسد لن يعتبر خليفة عند الله تعالى، يقول الله تعالى في هذا الشأن﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوٓاْ ءَالآءَ ٱللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[134].

من ثم نطرح السؤال التالي: أين موقع الإنسان ومكانه في منهج الاستخلاف القرآني؟

إن المنهج الاستخلافي القرآني لا يحابي أحدا فيما يخص أهمية العمل في الواقع ويظهر ذلك جليا من خلال سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. خلال الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، قام فريق عمل متكامل من أجل وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أبو بكر رضي الله عنه يجهز راحلتين، أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تجهز المأكل، عبد الله بن أبي بكر صلة وصل بين أهل مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه من حيث الاستخبار، عامر بن فهيرة يمر بغنمه فوق الرمال لطمس معالم المسير في اتجاه الغار بجبل ثور، وعبد الله بن أرقط رغم كفره اتخذه رسول الله صلى عليه وسلم دليله إلى المدينة[135].

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، أي القدوة العملية التي يحتذي بها العرب عمليا في حالة الغياب النظري لوعي المنهج، والمطلع على كتب الأحاديث يتأكد لديه الجهد الخارق الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل التحول العربي البدوي إلى مقتضيات هذه المنهجية، فكان عليهم أن يترسموا خطاه ويقتدوا به[136].

إن وراثة الأرض حسب المنهج القرآني تقتضي تفاعل المسلم مع الأنساق الحضارية ولم لا الأخذ بالمحددات النظرية والمعرفية والمنهجية عن غيرنا، لأن ذلك من صميم مهام الأمة الوارثة، وليس الانغلاق على الذات، لأن ذلك يتنافى مع عالمية الخطاب القرآني وكونية المنهج فكما يسترجع القرآن أصول الموروث الروحي البشري من دهاليز العتمة الأسطورية والخرافية والعقليات الإحيائية، يسترجع بمنهجيته المحددات النظرية والمنهجية من دهاليز العتمة الوضعية، منفتحا على العالم كله[137]، ومقوما ومصححا الأفكار والمذاهب التي تقدم الإنسان في صورة الحقير الفاني، الذي يكمن سر خلاصه، وتتجلى حقيقة نجاته في الفناء بالكل أو بالمطلق، أو تقدمه كسيد للكون كما هو الحال للنزعة المادية، وذلك بجعل الإنسان الخليفة الذي اصطفاه الله الحق الخالق الواحد لعمارة هذا الكون فهو سيد فيه وليس سيده فسيادته في الكون نعمة أنعم بها عليه سيد هذا الوجود، تكريما له وتمكينا من القيام بمهام الاستخلاف في عمارة هذا الكون وترقيته وفقا لبنود عهد الاستخلاف[138].

لقد استرجع القرآن الكريم مُثُل وقيم الوراثة الإنسانية السامية، كبديل حضاري لما انتشر قبل نزوله، حيث سادت مقاييس كثرة المال والثروة كما هو الحال الآن، فاستبدلها بقيمة **الأحسن عملا** كمثل أعلى وهدف أوَّليّ، وحث الناس على التنافس فيما بينهم ضمن هذا المقياس الرباني من خلال التسابق نحو العمل الصالح والأحسن[139].

خاتمة

لقد أصبحت دراسة المصطلحات القرآنية من أوجب الواجبات وأسبقها، وعلى كل باحث أن يتصدى للدر س القرآني، قبل خوض غمار البحث في مقارنة القرآن بالكتاب المقدس، أو البحث في التاريخ، لأنها أس الفهم السليم الذي ينبني عليه التصويب والتقويم السليمين.

لقد حاولت قدر الإمكان الإحاطة ببعض الجوانب المصطلحية القرآنية التأسيسية للقيام بمقارنة بين الأديان، وأجملتها في:

أولا: **المرجعية الإلهية للدين**، حيث لا يمكن الحديث عن الأديان التي صنعها الإنسان، وبالتالي الانطلاق من أساس مهم وهو اعتماد المرجعية الإلهية للدين.

ثانيا: **التوحيد عقيدة إسلامية إنسانية**، وأقصد بذلك توحيد الإله الذي جاء به كل الأنبياء والرسل، ولم يأت واحد منهم بثالوث، أو برابوع أو خاموس، بل إن أول شيء اهتم به الأنبياء تعليمه للناس هو توحيد الإله، الذي يعتبر رأس العلم وأسه.

ثالثا: **خطاب الله تعالى لكل الناس**، لا يتوجه الله تعالى بخطابه إلى طائفة بعينها، وإنما يتوجه بخطابه إلى كل الناس" يا أيها الناس...بين الناس...الناس بعضهم ببعض..."

رابعا: **جدلية الحوار والتعايش والقتل**، جاء القرآن الكريم مؤسسا لعلاقات أفقية بين المسلمين وأهل الكتاب خاصة وكل مخالف عامة، تحكمها خطة طريق قصد تحقيق التعايش الإنساني في الأرض، وبالتالي استخلافه وتمكينه فيها.

خامسا: **العدل**، يتخذ العدل في الإسلام بعدين: بُعد يتعلق بالعدل مع النفس وعدم ظلمها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[140]، ويقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[141]. وبُعد يتعلق بالعدل مع الآخر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[142].

سادسا: **التدافع والتداول والاستبدال**، يقدم القرآن الكريم قواعد أساسية في **التداول**، كسنة كونية يخضع لها جميع الناس ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[143]، وفي **التدافع**، ويربطه بالناس أجمعين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾[144]، وفي الاستبدال التي يخضع لها، أيضا، كل الناس، أي استبدال قوم بقوم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[145]

سابعا: **الاعتراف بسماوية الكتب السابقة**، وذلك من خلال ثلاثة مستويات، التصديق، والتفصيل، والهيمنة.

ثامنا: **وراثة الأرض**. منطلق منهج الوراثة في القرآن الكريم هو قوله تعالى في سورة الأنبياء﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[146]، الذين يصلحون ولا يفسدون، والصلاح والإصلاح هما المقصد من استخلاف الإنسان في الأرض وتمكينه فيها.

الهوامش:

[1]سورة النساء، الآية 162.

[2]سورة آل عمران، الآية 19.

[3]سارة تركي عبد الزهرة، النحو القرآني ونحو القرآن، مقال نشر بمجلة آداب الكوفة، العدد 55، ج 1، 2023م، ص 190 وما بعدها.

[4]إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري. وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م. ج 8، ص 352.

[5]سورة الكهف، الآية 104.

[6]قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت285هـ) في المقتضب" اعلم ان المصادر تلحقها الميم في أولها زائدة؛ لأن المصدر مفعول"، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى بيروت، 1999م، ج2، ص136.

[7]**الجاحظ**: أبو عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، ت 205هـ، وقيل 255هـ. سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 527.

[8]**الخوارزمي**: أبوبكر محمد بن موسى، ت 403 هـ. سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 235.

[9]**ابن فارس**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، ت395هـ. سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 103 و105.

[10]الجاحظ أبو عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ص139. وكتاب الحيوان للجاحظ أيضا، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1985م، ج 1، ص 348. ومفاتيح العلوم للخوارزمي، تحقيق فان فلوتن، 1985م، ص 2 وما بعدها.

[11] عبد الصبور شاهي، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولى، 1983م، ص 119.

[12]**سعيد الحميري**: أبو الحسن علي بن محمد بن هارون الحميري، ولد سنة 231 هـ، ت 323 هـ. سير أعلام النبلاء، ج 15، ص 14.

[13] نشوان بن سعيد الحمير، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م، (مادة صلح).

[14]المعجم الوسيطّ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة، 2004م، (مادة صلح).

[15]ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة السادسة، 2008م، (مادة صلح).

[16]**الجرجاني**: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، ت471هـ وقيل 474 هـ. سير اعلام النبلاء، ج 18، ص 432 - 433.

[17]الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1990م.

[18]**الزبيدي**: محمد بن الوليد بن عامر، أبو الهذيل، ت148 هـ. سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 281 - 282.

[19]مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ج 6 ص 548.

[20]الشاهد البوشيخي، مجلة دراسات مصطلحية، مجلة تصدر بتعاون بين مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ومعهد الدراسات المصطلحية، العدد الثامن، 2008م، ص 9.

[21]ابن منظور، لسان العرب، (مادة قرأ).

[22]سورة العلق، الآية 2.

[23]سورة الاسراء، الآية 106.

[24]سورة النحل، الآية 98.

[25]**ابن حزم**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، ولد384هـ، ت456هـ. سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 184.

[26]محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسني، معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2009م ج1، ص 604.

[27]أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام بن الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1993م، ص 81.

[28]عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي، ت 1820م. من مقدمة كتاب نشر البنود على مراقي السعود.

[29]عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، نشر البنود على مراقي السعود، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 2005م، ص 64.

[30]سرة يونس، الآية 71 – 72.

[31]سورة البقرة، الآية 126 - 127.

[32]سورة البقرة، الآية 131 - 132.

[33]سورة يونس، الآية 84.

[34]سورة آل عمران، الآية 51.

[35]سورة النمل، الآية 29 – 30.

[36]سورة آل عمران، الآية 19.

[37]سورة آل عمران، الآية 84.

[38]سورة الجن، الآية 13 - 14.

[39]سفر التكوين، الإصحاح 24: 24 - 25.

[40]القمص تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر التكوين، الأنبا رويس، القاهرة، 1983م، ص 264 وما بعدها.

[41]جون بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة عبد المنعم الحفني، الدار المصرية، الطبعة الأولى، 1964م، ص 19 – 20 - 21.

[42]سورة الشورى، الآية 9.

[43]سورة المائدة، الآية 75.

[44]سورة المائدة، الآية 75.

[45]سورة المائدة، الآية 19.

[46]سورة المائدة، الآية 19.

[47]سورة المائدة، الآية 74.

[48]سورة طه، الآية 14.

[49]سورة البقرة، الآية 133.

[50]انظر:

- سفر الخروج، 9: 14" لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض"
- وسفر التثنية، 33: 26" ليس مثل الله يا يشورون"
- وعلى لسان داوود كما جاء في صموئيل الثاني، 7: 22" لذلك قد عظمت أيها الرب الإله، لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا"

[51]إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة حسن خضر، سينا للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية 1994م، ص 50.

[52] عبد الوهاب المسيري، من هم اليهود؟ وما هي اليهودية، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 2008م، ص 185 - 186.

[53]سورة الأعراف، الآية 138.

[54]سورة الأعراف، الآية 139 – 140.

[55] القمص تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر الخروج، ص 136 – 137.

[56]سفر الخروج، 32: من 1 إلى 8.

[57]سورة الأعراف، الآية 148.

[58]سورة الأعراف، الآية 148.

[59]سورة البقرة، الآية 162.

[60]سورة المائدة، الآية 75.

[61]سورة إبراهيم، الآية 54.

[62]سورة النحل، الآية 22.

[63]سورة النحل، الآية 51.

[64]سورة الكهف، الآية 105.

[65]سورة الحج، الآية 32.

[66]الوصية الأولى من الوصايا العشر، سفر الخروج، 20: 1 – 2 – 3 – 4.

[67]رشاد عبد الله الشامي، الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء للنشر، 1993م، ص 214.

[68]سورة آل عمران، الآية 64.

[69]سفر الخروج، 20: 15.

جاءت الوصايا العشر في سفر الخروج، كما يلي:

- الوصية الأولى: لا تكن لك آلهة أخرى أمامي.
- 5.الوصية الثانية : لا تصنع لك تمثال منحوتا.
- 6.الوصية الثالثة : لا تنطق باسم الرب باطل.
- 7.الوصية الرابعة : تقديس السبت.
- 8.الوصية الخامسة : إكرام الوالدين.
- 9.الوصية السادسة : عدم القتل.
- 11.الوصية السابعة : عدم الزنا.
- 11.الوصية الثامنة : عدم السرقة.
- 12.الوصية التاسعة : عدم الشهادة لمزور
- 13. الوصية العاشرة: لا تشته.

[70] رشاد عد الله الشامي، الوصايا العشر في اليهودية، ص 214.

[71]القمص تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر الخروج، ص 147.

[72] رشاد عبد الله الشام، الوصايا العشر في اليهودية، ص 215 – 219.

[73]سورة البقرة، الآية 190.

[74]سورة البقرة، الآية 189.

[75]سورة البقرة، الآية 189.

[76]**المادة 40**:

منعاً لتفاقم الموقف، لمجلس الأمن، قبل أن يقوم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها في المادة 39، أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً أو مستحسناً من تدابير مؤقتة، ولا تخل هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه.

المادة 41:

لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، وله أن يطلب إلى أعضاء "الأمم المتحدة" تطبيق هذه التدابير، ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من وسائل المواصلات وقفا جزئياً أو كليا وقطع العلاقات الدبلوماسية.

المادة 42:

إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة 41 لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه. ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق القوات الجوية أو البحرية أو البرية التابعة لأعضاء "الأمم المتحدة." من موقع الأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar/about-us/un-charter/full-text

[77]سورة النساء، الآية 90.

[78]سورة النساء، الآية 90.

[79]سورة النساء، الآية 90.

[80]مثل مجلة charlie hebdo الفرنسية، التي عرضت صورا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عنوان" حياة محمد – La vie de mahomet

[81]مفهوم القتال في الإسلام وبيان أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم وليس الحرب للدكتور محمد الناصري، موسوعة تفكيك خطاب التطرف، الصادرة عن الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة الإيسيسكو الرقمية، الطبعة الأولى، 2021م، ج 1، ص 405.

[82]سورة العنكبوت، الآية 46.

[83]الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، مصر، 1999م، سفر العدد، 31، من 9 إلى 17.

[84]سورة البقرة، الآية 256.

[85]**العروة**: بضم العين ما يجعل كالحلقة في طرف شيء ليقبض على الشيء منه، فللدلو عروة وللكوز عروة، وقد تكون العروة في حبل بأن يشد طرفه إلى بعضه ويعقد فيصير مثل الحلقة فيه، فلذلك قال – الزمخشري – في الكشاف العروة الوثقى من الحبل الوثيق. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 3، ص 29.

[86]سورة البقرة، الآية 256.

[87] محمد الناصري، مسألة الآخر في الفكر الإسلامي، نحو تجاوز لإشكال النسخ في فقهنا الموروث، مجلة مراصد، كراسات علمية 38 ص 5.

[88]محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، الطبعة الأولى، 2004م، ص 249 وما بعدها، بتصرف.

[89]سورة الإسراء، الآية 70.

[90]سورة الإسراء، الآية 70.

[91]سورة النساء، الآية 1.

[92] ابن منظور، لسان العرب، (مادة عدل).

[93]سورة النساء، الآية 134.

[94] **البغي**: التعدي. وبغى الرجل علينا بغيا: عدل عن الحق واستطال على الناس، والبغي: الظلم والفساد...والبغي أصله الحسد. لسان العرب لابن منظور، (مادة بغا).

[95]سورة النحل، الآية 90.

[96] محمد عمارة، الدين والحضارة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، 2005م، ص 15.

[97]سورة النساء، الآية 97.

[98]سورة آل عمران، الآية 135.

[99]سورة النحل، الآية 90.

[100]عبد الله سيف الدين "مبادئ العدل ومجالاته عند ابن رشد، مجلة عالم الفكر، العدد 175، يوليوز – سبتمبر 2018م.

[101]سورة المائدة، الآية97.

[102] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان بدون سنة الطبع، ص 325.

[103]سورة النحل، الآية 90.

[104]سورة آل عمران، الآية 140.

[105]سورة آل عمران، الآية 140.

[106]سورة آل عمران، الآية 140.

[107]سعيد شبار بعنوان، الاستخلاف والعمران في ضرورة الوعي بقيم وسنن النهوض والسقوط، مجلة التفاهم، مجلة فصلية فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عُمان، ص57.

[108]سورة الروم، الآية 41 – 42.

[109]سورة الحج، الآية 38.

[110]سورة الحج، الآية 38.

[111]سورة محمد، الآية 39.

[112]سورة الأنعام، الآية 7.

[113]سورة الرعد، الآية 12.

[114]سورة البقرة، الآية 37 – 38.

[115] **المتقون**: " ألم، ذلك الكتاب لا ريب، فيه هدى للمتقين" ثم ذكر أوصافهم، وحددها في خمسة أوصاف" الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يومنون بما أنزل إليك وما انزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون".

الكافرون: "إن الذين كفروا" ثم ذكر أوصافهم" سواء عليهم ءآنذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة".

المنافقون: " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين".

[116] سورة الكافرون، الآية 6.

[117] سورة المائدة، الآية 45.

[118] سورة المائدة، الآية 45.

[119] سورة المائدة، الآية 48.

[120] سورة النساء، الآية 45.

[121] سورة يونس، الآية 37.

[122] سورة آل عمران، الآية 84.

[123] سورة المائدة، الآية 48.

[124] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (مادة ورث).

[125] قال ابن رشد الحفيد، (ت 595هـ) في بداية المجتهد ونهاية المقتصد" فأما الأجناس الوارثة فهي ثلاثة: ذو نسب وأصهار، وموال" تحقيق أبو أوس يوسف أحمد البكري، بيت الأفكار الدولية، الأردن، 2009م، ص 870.

[126] سورة الأنبياء، الآية 104.

[127] سورة البقرة، الآية 29.

[128] سفر التكوين، 15: 7.

[129] سورة يونس، الآية 14.

[130] محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ص 242.

[131] سورة الإسراء، الآية 70.

[132] سورة الأعراف، الآية 172.

[133] عبد الرحمان السالمي النظام القيمي في الدن والمجتمع، مجلة التفاهم، العدد 34، 2011م، ص 9.

[134] سورة الأعراف، الآية 73.

[135] ابن هشام، السيرة النبوة، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 2005م، ص 241 وما بعدها.

[136] محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ص 63.

[137] المرجع السابق، ص 71.

[138] محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 2009م، ص 35.

[139] محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان، مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2011م، ص 29.

[140] سورة النساء، الآية 97.

[141] سورة آل عمران، الآية 135.

[142] سورة النحل، الآية 90.

[143] سورة آل عمران، الآية 140.

[144] سورة الحج، الآية 38.

[145] سورة محمد، الآية 39.

[146] سورة الأنبياء، الآية 104.